

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فتح الاندلس (اسبانيا) فى خلافة

سيدنا عثمان رضى الله عنه سنة ٢٧ للهجرة

محمد حميد الله

جرى على السنة العوام أن المسلمين فتحوا الاندلس فى سنة ٩٢ للهجرة فى زمن الخليفة عبدالملك بن مروان الاموى وأن طارق (الذى أعطى اسمه لجبل طارق "Gibraltar" وموسى بن نصير هما اللذان توليا أمره ولكن الحقيقة أن جنود المسلمين دخلوا فى الاندلس قبل ذلك بطويل، فى السنة ٢٧هـ . وبقوا هنالك ولم يخرجوا الى مجئ طارق .

وقبل ان نعطى التفاصيل وننقل الوثائق اللازمة ، لا بد أن نذكر الوجوه والأسباب حسب الامكان، على أساس المعلومات التاريخية، لهذه الحروب والفتوح .
بدء الصلات مع اوروبا :

بدأت صلات الاسلام مع أوروبا منذ العصر النبوى ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل امبراطور بيزنطة فى ابتداء

السنة ٧ هـ، مكتوبا يدعوه الى الاسلام ولم يرد به الا الخير له والسلام معه (١). وكان هرقل حينئذ في آسيا فتلقى السفير في القدس (Aelia)، ولو كان في اوروبا، لذهب السفير الى العاصمة في اوروبا. ولما يش النبي عليه السلام من اسلام الامبراطور، كتب الى من دونه من كبار الولاة والموظفين، خاصة من العرب. ولما أسلم فروة بن عمرو عامل معان (وكان قبل نصرانيا) قتله هرقل وصلبه. ولما قتل أمير غسان (في دمشق) سفير النبي عليه السلام خلاف جميع الحقوق الدولية والدبلوماسية، وأرسل النبي عليه السلام جيشا للتأديب لم يتدخل الامبراطور الا للشر. فبدل أن يعاقب أمير غسان، أرسل مائة ألف من العساكر (التي كان جمعها للقتال مع ايران) لصيانته وصيانة الحدود. ولقى المسلمين في مؤتة (أردن) وكان سببا للخسائر. فذهب النبي عليه السلام بنفسه الى تبوك (سنة ٩ هـ). وكتب مرة أخرى الى الامبراطور يدعوه الى الاسلام والمصالحة وزاد: ,, ... والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية,, (راجع كتاب الاموال لأبي عبيد، رقم ٥٥). ولكن لم يقبله الامبراطور.

مضى سنة ونصف بين غزوة تبوك ووفاة النبي عليه السلام ولم تزد العلاقات بين الاسلام والبيزنطيين الا توترا بحيث جمع النبي عليه السلام جيشا جديدا وأمر على فراش الموت ارساله الى بلاد غسان في الفور. وأول شئ فعله أبوبكر بعد أن تولى مسؤولية الخلافة كان ارساله هذا الجيش تحت اسامة بن زيد للتأديب. كان من المحتمل أن تبقى هذه السرية حادثة محلية لو سكت الامبراطور. ويظهر أنه لم يفعل ذلك، بل غضب وجمع الجنود على الحدود وكانه بدء الغارات في ديار الاسلام. فأرسل أبوبكر رضى الله عنه جيشا جديدا ففتح كالبرق الخاطف بلدة قيصرية (في فلسطين) ولكن لم يرد مع ذلك

الحرب، فأرسل سفارة الى هرقل (٢) - وكأنهم أول من وطأ أرض أوروبا من المسلمين - ففاوضوا مع الامبراطور في القسطنطينية لتحسين الروابط والصلح، ولكن لم يتيسر ذلك . وتقدمت جيوش الاسلام في فلسطين وحاصرت دمشق عندما توفى أبوبكر في السنة ١٣هـ وكما ذكر المستشرق الولنديزي دخويه de Goeje في كتابه Memoire sur La Conquête de la Syrie أن رعايا البيزنطيين النصارى استقبلوا جيوش الاسلام لا كالفاتحين بل كالمنقذين من ظلم الامبراطور . وكما لاحظ هنري لامنس Henri Lammens في دائرة المعارف الاسلامية في مادة ,,سوريا,, ، لم يحتج المسلمون الى أن يحاربوا بل استولوا على جميع سوريا في تنزّه عسكري (Promenade militaire) .

خلافة عثمان (رضى الله عنه) :

ان الخليفة عمر رضى الله عنه، حاول أيضا الصلح وكان كثيرا ما يقول : لو كان بينى وبينهم جدار من نار (فلا يصلون الينا ولا نصل اليهم ويعيش كل واحد في أمن وسلامة) . ولكن لم يرد الامبراطور ذلك . ودامت الحرب في عصره وعصر سيدنا عثمان (رضى الله عنه) فتمكنوا من استنقاذ مصر وسوريا وأرمينيا وغير ذلك من جور البيزنطيين .

ولا بأس أن أزيد ههنا (على أساس ما ذكره القسطلاني في كتابه ارشاد السارى شرح صحيح البخارى ، ج ٧ ، ص ٤٤٨) أن عساكر المسلمين لما كانوا في جوار أرض روم (أرزن روم، كما ذكره) حدث اختلاف شديد بين المسلمين في قراءة بعض آيات القرآن فلما أخبر قائد الجيش الخليفة عثمان به، أمر بتدوين القرآن ونشره . وهكذا يكون أحيانا نتيجة الشر خيرا اذا أراد الله .

وقد اكره المسلمون أن يحاربوا فى نفس الوقت مع كبيرى العالم : الروم والفرس وانتهى أمر الفرس بسهولة وسرعة وبدأ مجوس ايران يعتنقون الاسلام يوما فيوما . أما الروم مع شدة هزيمتهم فى آسيا وافريقيا وجزائرهما، لم يزالوا يستعدون للقتال ويحاربون المسلمين بدل أن يصلحوا صلحا . فكما قبض المسلمون المدائن، (عاصمة الفرس) كالبرق الخاطف ، أراد سيدنا عثمان أن يستولى على القسطنطينية أيضا، حتى تنتهى الحرب فيأمن الناس . ولذلك أمر من جهة والى سوريا أن يرسل جيشا الى عاصمة بيزنطة من بر وبحر وكان قد احتل على قبرص قبل هذا، كما أمر من جهة أخرى والى افريقية (٣) (تونس) أن يدخل فى الاندلس ويسافر من هناك برا الى القسطنطينية فيلتقى الجيشان السورى والتونسى فى عاصمة الروم .

نجحت المحاولة جزئيا، ودخل المسلمون فى ٢٧هـ . فى ,,الاندلس والافرنجة,, كما سنذكر فيما يلى، ولم يسافر الجيش السورى الا فى سنة ٣٢، ثم مرة ثانية فى خلافة سيدنا معاوية^{رضي} تحت قيادة ابنه يزيد . وكان اشترك فيه سيدنا أبو أيوب الانصارى (Eyup Sultan) أيضا. ان فتح الاندلس فى سنة ٢٧هـ لايعرفه أكثر الناس حتى نسيه المسلمون أيضا . ولذلك لا بأس بأن نذكرهم وتنقل الوثائق ، والمستندات اللازمة :

(١) تاريخ الطبرى ، وقائع سنة ٢٧هـ . ، ص ٢٨١٧ من طبعة (ليدن):
 ,,لما ولى عثمان ... أمر العبدین (عبدالله بن نافع بن عبدالقيس،
 وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين) على الجند ورماهما بالرجال،
 وسرحهما الى الاندلس . وامرهما وعبدالله بن سعد بالاجتماع على
 الأجل وأرسل عثمان عبدالله بن الحصين وعبدالله بن نافع بن
 عبدالقيس من فورهما ذلك من افريقية (٤) الى الأندلس فأتيا من قبل

البحر . وكتب عثمان الى من انتدب من أهل الاندلس (كذا) :
 ,, ... أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس وانكم
 ان افتمتحتموها (اي الاندلس) كنتم شركاء من يفتحها (أى
 القسطنطينية) فى الاجر . والسلام .. .

فخرجوا ومعهم البربر . من برها وبحرها . ففتحها الله على
 المسلمين وافرنية ، وازدادوا فى سلطان المسلمين مثل افريقية . فلما
 عزل عثمان عبد الله بن سعد ابى سرح ، صرف الى عمله (اى
 ولاية افريقية والاندلس) عبدالله بن نافع بن عبدالقيس ، وكان عليها .
 ورجع عبدالله بن سعد الى مصر . ولم يزل امر الاندلس كأمر افريقية
 حتى كان زمان هشام، فمنع البربر أرضهم . وبقي من فى الاندلس على
 حاله .

(٢) الكامل لابن الاثير فى احوال السنة ٢٧ (ج، ١، ص ٧٢): لما
 افتتحت افريقية أمر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين، وعبدالله بن
 نافع بن عبدالقيس أن يسيرا الى الاندلس فأتيا من قبل البحر، وكتب
 عثمان الى من انتدب معهما :

,,... اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس ، وانكم
 ان افتمتحتموها كنتم شركاء من يفتحها (أى القسطنطينية) فى الاجر .
 والسلام .. .

,,فخرجوا ومعهم البربر ، فأتوها من برها وبحرها . ففتح الله على
 المسلمين وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية . ولما عزل عثمان
 عبدالله بن سعد عن افريقية ، ترك فى عمله عبدالله بن نافع بن
 عبدالقيس فكان عليها ورجع عبدالله (بن سعد) الى مصر .. .

(٣) تاريخ أبو الفداء (ج ١، ص ٢٦٢) :

,, وفى أيام عثمان فتحت افريقية . وكان المتولى لذلك عبدالله بن
 سعد بن أبى سرح المذكور . وبعث بالخميس (بالخمس ؟) الى عثمان .

فاشتراه مروان بن الحكم بخمس مائة ألف دينار . فوضعها عنه عثمان .
وهذا من الامور التي أنكرت عليه (على عثمان) . ولما فتحت افريقية
أمر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين أن يسير الى جهة الاندلس .
فغزا تلك الجهة . وعاد عبدالله بن نافع الى افريقية فأقام بها من جهة
عثمان ورجع عبدالله بن سعد الى مصر . .

(٤) تاريخ الاسلام الكبير الذهبى (طبع مصر سنة ١٣٦٨هـ .) احوال
السنة ٢٧، (ج ٢، ص ٨٠) :

،،روى سيف بن عمر من أشياخه أن عثمان أرسل عبدالله بن نافع
بن الحصين وعبدالله بن نافع (بن عبدالقيس) الفهرى من فورهما الى
الاندلس . فأتيا من قبل البحر . وكتب عثمان الى من انتدب الى
الاندلس :

،،أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس وانكم ان
افتتحتموها كنتم شركاء فتحها فى الاجر والسلامة، .
وعن كعب (الاحبار) قال : ،،يعبر البحر الى الاندلس أقوام
يفتحونها كما يعرفون بنورهم يوم القيامة ، قال : فخرجوا اليها فأتوها
من برها وبحرها ففتحها الله على المسلمين وزاد فى سلطان المسلمين
مثل افريقية . ولم يزل أمراء ؟ (أمر) الاندلس كأمرء (أمر) أفريقية حتى
أمر هشام فمنع البربر أرضهم . .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٨، ص ١٥٢):

،،لما افتتحت افريقية بعث عثمان الى عبدالله بن نافع بن
عبدالقيس ، وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما الى
الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى الذين خرجوا اليها
يقول : ،،ان القسطنطينية انما تفتح من قبل البحر وانتم اذا فتحتم
الاندلس كنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية فى الاجر آخر الزمان
والسلام . . قال فساروا اليها فافتتحوها والله الحمد والمنة . .

- (٦) وقد ذكره زيني دحلان في كتابه , الفتوحات الاسلامية، (ج ١، ص ١٠٠) عن المصادر القديمة .
- (٧) ذكره Gibbon في كتابه Decline and Fall of the Roman Empire طبعة Oxford University Press ج ٥، ص ٥٥٥ عن أبي الفداء ، ولكن غير عبارة ابي الفداء وبديل ,,الفتح,, وقال ,,غارة,, أى لم يبق المسلمون في الاندلس .
- فنرى من هذه الاقتباسات ان هناك اجماعا بين مؤرخي الاسلام على فتح قسم من الاندلس وديار الافرنج فى السنة ٢٧هـ . فى خلافة سيدنا عثمان وأن المسلمين بقوا هناك وما زالوا الى أن جاء جيش طارق وكمل الفتح .

هوامش

- ١- راجع للتفاصيل مقالتي :
La lettre du prophète a Heraclius et le sort de l'original (Cf. Arabica, Paris. 1955).
ومنذ نشر هذه المقالة عثروا على اصل المکتوب النبوی وهو الآن محفوظ فى عمان (اردن).
- ٢- راجع للتفاصيل مقالتي :
Une ambassade du calife Abu Bakr aupres de l'empereur Heraclius et le livre byzantin de la prediction des destinées (of Folia Orinetali, Krakov/Pologne, 1961).
الوثائق عن صور الأنبياء التي ذكرت فى هذه المقالة عن الدينورى والذهبي ، ذكرها ابن الجوزى فى الوفاء بأحوال المصطفى (ص ٢٢٧ - ٧٠١) عن موسى بن عقبة أيضا . ويزيد، أنه وقع مثله لدحية سفير النبى عليه السلام أيضا ورأى تلك الصور وفيها صورة نبى الاسلام عليه السلام أيضا (راجع ابن الجوزى ، ص ٧٢٦).
- ٣- يعنى شمالي افريقا من برقة الى طنجة (راجع ياقوت والبكرى) .
- ٤- يعنى شمالي افريقا من برقة الى طنجة (راجع ياقوت والبكرى) .